

تفسير البحر المحيط

@ 532 وشهادته تعالى عليهم بذلك ، وهذا العهد مذكور في كتبهم وشاهد بذلك أنبياءهم

وقرأ أبي ، وعبد ا : ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، بدل : النبيين ، وكذا هو في مصحفيهما . وروي عن مجاهد أنه قال : هكذا هو القرآن ، وإثبات النبيين خطأ من الكاتب ، وهذا لا يصح عنه لأن الرواة الثقات نقلوا عنه أنه قرأ : النبيين كعبد ا بن كثير وغيره ، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان . .
والخطاب بقوله : وإذ أخذ ، يجوز أن يكون للنبي صلى ا عليه وسلم) ، أمره أن يذكر أهل الكتاب بما هو في كتبهم من أخذ الميثاق على النبيين ، ويجوز أن يتوجه إلى أهل الكتاب أمروا أن يذكروا ذلك ، وعلى هذين التقديرين يكون العامل : أذكر ، أو : أذكروا ، ويجوز أن يكون العامل في : إذ ، قال من قوله : { قَالَ - أَأَقْرَرْتُمْ } وهو حسن ، إذ لا تكلف فيه . .

قيل : ويجوز أن يكون معطوفاً على ما تقدم من لفظ إذ ، والعامل فيها : اصطفى ، وهذا بعيد جداً . .

وظاهر الكلام يدل على أن ا هو الآخذ ميثاق النبيين فروي عن عليّ ، وابن عباس ، وطاووس ، والحسن ، والسديّ : أن الذين أخذ ميثاقهم هم الأنبياء دون أممهم ، أخذ عليهم أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن ينصر بعضهم بعضاً ، ونصرة كل نبي لمن بعده توصية من آمن به أن ينصره إذا أدرك زمانه . وينبو عن هذا المعنى لفظ : { تُمْ - جَاءَكُمْ - رَسُولٌ } إلى آخر الكلام

وقال ابن عباس أيضاً فيما روى عنه : أخذ ميثاق النبيين وأممهم على الأيمان بمحمد صلى ا عليه وسلم) ونصره ، واجتزأ بذكر النبيين من ذكر أممها لأن الأمم أتباع للأنبياء ، ويدل عليه قول عليّ كرم ا وجهه : ما بعث ا نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى ا عليه وسلم) ، وأمره بأخذ العهد على قومه فيه بأن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوا زمانه . وروي عن ابن عباس أيضاً : أنه تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه أخذ الميثاق على جميع المرسلين أن يقروا بمحمد صلى ا عليه وسلم) . وعلى هذين القولين يكون قوله : { تُمْ - جَاءَكُمْ - رَسُولٌ } عني به واحد وهو محمد صلى ا عليه وسلم) ، ولا يكون جنساً .
ويبعد قول ابن عباس : أن الميثاق كان حين أخرجهم من طهر آدم كالذر . .

قرأ حمزة : لما آتيناكم ، لأن الظاهر أن ذلك كان بعد إيتاء الكتاب والحكمة . و : ميثاق

، مضاف إلى النبيين ، فيحتمل أن يكون النبيون هم الموثقون للعهد على أممهم ، ويحتمل أن يكونوا هم الموثق عليهم ، والذي يدل عليه ما قبل الآية من قوله : { مَا كَانَ لِيَدَّ شَرِّهَ أَنْ يُؤْتِيَهُهُ اللّٰهُ } الآية وما بعدها من قوله : { وَمِنْ * يَدِ تَغْرِ غَيْرِ الإسْلَامِ دِينًا } أن المراد بقوله { ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ } هو محمد صلى الله عليه وسلم) ، ولذلك جاء مصدقاً لما معكم . وكثيراً ما وصف بهذا الوصف في القرآن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم) ، ألا ترى إلى قوله { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبِيذًا فَرِيقٌ } وكذلك وصف كتابه بأنه مصدق لما في كتبهم ، وإذا تقرر هذا كان المجاز في صدر الآية فيكون على حذف مضاف أي : وإذا أخذنا ميثاق أتباع النبيين من أهل الكتاب ، أو ميثاق أولاد النبيين ، فيوافق صدر الآية ما بعدها ، وجعل ذلك ميثاقاً للنبيين على سبيل التعظيم لهذا الميثاق ، أو يكون المأخوذ عليهم الميثاق مقدراً بعد النبيين ، التقدير : وإذا أخذنا ميثاق النبيين على أممهم . ويبين هذا التأويل قراءة أبي ، وعبد الله : ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، ويبين أيضاً أن الميثاق كان على الأمم قوله : { فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ } ومحال هذا الفرض في حق النبيين ، وإنما ذلك في حق الأتباع .

وقرأ جمهور السبعة : لما ، بفتح اللام وتخفيف الميم وقرأ حمزة : لما ، بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبير ، والحسن : لما ، بتشديد الميم .

فأما توجيه قراءة الجمهور ففيه أربعة أقوال .

أحدهما : أن : ما ، شرطية منصوبة على المفعول بالفعل بعدها ، واللام قبلها موطئة لمجيء : ما ، بعدها جواباً بالقسم ، وهو أخذنا ميثاق . و : من ، في قوله : من كتاب ، كهي ، في قوله : { مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ } والفعل بعد : ما ، ماضٍ معناه الاستقبال لتقدم ، ما ، الشرطية عليه . وقوله : ثم جاءكم ، معطوف على الفعل بعد : ما ، فهو في حيز الشرط ، ويلزم أن يكون في قوله : ثم جاءكم ، رابط يربطها بما عطفت عليه ، لأن : جاءكم ، معطوف على الفعل بعد : ما ، و : لتؤمنن به ، جواب لقوله { أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ } ونظيره من الكلام في التركيب : أقسم لأبيهم صحبت ، ثم أحسن إليه رجل تميمي لأحسنن إليه ، تريد لأحسنن إلى الرجل التميمي . فلأحسنن جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف لدلالة